Theories and criticism in Arabic literature
The Third Year, Number ١١, Autumn١٤٠٢
Pp:٤٥-٦٠

Research Paper

DOI: ١٠,٢٢٠٣٤/JRAL.٢٠٢٥,٥٦٠٤٠٠,١٠٧٧

The Novel *Saq al-Bamboo* through the Lens of Reception Theory: A Study of Meaning Formation and Reader Interaction

Somayeh Al-Sadat Tabatabaei[١]

(Received: ٢٠٢٥,١١,١٧ ,Accepted: ٢٠٢٥,١١,٢٦)

Abstract

This study presents a reading of Saud Al-Sanousi's novel "Saq Al-Bamboo" through the lens of reception theory, focusing on how the reader contributes to the formation of meaning. It examines the interaction of key reception mechanisms -horizon of expectations, aesthetic distance, and textual gaps- with the novel's narrative structure. The study investigates how the reader's horizon of expectations is built through the title, the award, and the subject matter, and how narrative strategies such as the duality between the child and adult voices of Jose create an aesthetic distance that stimulates critical reflection. It also analyzes the intentional gaps in the text, such as the ambiguity of characters' emotions and the protagonist's ultimate fate, which prompt the reader to actively participate in completing the meaning. The study concludes that the novel successfully transforms the reader from a passive recipient into an active partner in the interpretive process, producing multiple interpretations that reflect the richness of the text and the complexity of the identity issue it raises.

Keywords: Reception Theory, Horizon of Expectations, Aesthetic Distance, Textual Gaps, Saq Al-Bamboo.

---

١. Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Humanities, Kosar University of Bojnord, Bojnord, Iran, Email: sst١٣٦٣@yahoo.com (Responsible author)

© **The Author.** **Publisher**: Kosar University

التنظيرات و النقد في الأدب العربي

السنة الثالثة، العدد ١١، خريف ١٤٠٢

صص: ٦٠-٤٥

DOI: ١٠,٢٢٠٣٤/JRAL.٢٠٢٥,٥٦٠٤٠٠,١٠٧٧

رواية ساق البامبو في مرآة نظرية التلقي: دراسة في تشكُّل المعنى وتفاعل القارئ

سميه سادات طباطبائى [١]

(تاريخ الوصول: ١٤٠٤,٠٨,٢٦، تاريخ القبول: ١٤٠٤,٠٩,٠٥)

الملخص

تُقدّم هذه الدراسة قراءة لرواية ساق البامبو لسعود السنعوسي من خلال منظور نظرية التلقي، مُركّزة على الكيفية التي يُسهم بها القارئ في تشكل المعنى. تبحث الدراسة في تفاعل آليات التلقي الرئيسية – أفق التوقع، المسافة الجمالية، والفراغات – مع البنية السردية للرواية. تتحقّق من كيفية بناء أفق توقع القارئ عبر العنوان والجائزة والموضوع، وكيف تعمل استراتيجيات سردية مثل تعدد الأصوات بين صوتي عيسى الطفل والبالغ على خلق مسافة جمالية تُحفّز التأمل النقدي. كما تحلّل الفراغات المقصودة في النصّ، مثل غموض مشاعر الشخصيات والمصير النهائي للبطل، والتي تدفع القارئ إلى المشاركة الفعالة في اكتمال المعنى. تخلص الدراسة إلى أن الرواية تنجح في تحويل القارئ من متلقٍ سلبي إلى شريك فاعل في عملية التأويل، مما يُنتج تأويلات متعددة تعكس ثراء النصّ وتعقيد قضية الهوية التي يطرحها.

الكلمات المفتاحيّة: نظرية التلقي، أفق التوقع، المسافة الجمالية، الفراغات النصّيّة، ساق البامبو.

---

١. أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم الإنسانية، جامعة كوثر بجنورد، بجنورد، إيران، البريد الإلكتروني: Sst١٣٦٣@yahoo.com (المؤلف المسؤول)

© حق مولف نويسنده **ناشر:** دانشگاه كوثر

١. المقدمة

شكّلت رواية ساق البامبو للأديب الكويتي سعود السنعوسي، منذ فوزها بالجائزة العالمية للرواية العربية (البوكر) عام ٢٠١٣، حقلاً خصباً للدراسات النقدية، انصبّ أغلبها على تحليل بنيتها السردية المحكمة، وتقنياتها الفنية البارعة، أو على مقاربة قضيتها المركزية –قضية الهوية والانتماء– من منظور اجتماعي وسياسي. فقد قدّمت هذه الدراسات قراءات معمقة لصراع الشخصية الرئيسية "عيسى" بين هويتَيه الكويتية والفلبينية، وكشفت عن الأبعاد الطبقية والثقافية المتشابكة في النصّ، مُسلطةً الضوء على إشكالية "المواطنة" و"الآخر" في المجتمعات الخليجية. إلا أن هذه القراءات، على وجاهتها، ظلّت حبيسة المناهج التقليدية إلى حدٍّ كبيرٍ، مركزةً على النصّ بوصفه بنيةً مغلقة، أو على السياق الاجتماعي بوصفه محدِّداً وحيداً للمعنى.

في هذا الإطار، تبرز مشكلة هذا البحث من خلال وجود فجوة نقدية واضحة؛ فمع تزاحم القراءات التي تشرح النصّ من الداخل، أو تلك التي تحاصره من الخارج، غاب التطبيق المنهجي للمناهج النقدية الحديثة التي تضع "القارئ" في قلب العملية التأويلية. وعلى وجه التحديد، يلفت النظر شحُّ الدراسات التي تستند إلى "نظرية التلقي"[١] بمفاهيمها وآلياتها الإجرائية الدقيقة، لفهم الكيفية التي يتفاعل بها القارئ المعاصر مع هذا النصّ المعقد، وكيف يساهم مخزونه الثقافي وتوقعاته المسبقة وانزياحاته في إنتاج دلالاته المتعددة والمتجددة. إن ساق البامبو، بروايتها التي تتأرجح بين الكويت والفلبين، وبطلها الحائر على الحدود الفاصلة بين الهويات، لا تُقدّم قصةً عن عيسى فحسب، بل تقدم فضاءً سردياً مفتوحاً يدعو كلّ قارئ إلى كتابة جزء من هذه القصة داخل وعيه. انبثاقاً من طبيعة الإشكالية المطروحة، يسعى هذا البحث إلى الإجابة عن السؤال الرئيسي التالي:

كيف تتفاعل آليات نظرية التلقي (أفق الانتظار، المسافة الجمالية، القراءة التشاركية) مع بنية رواية ساق البامبو في تشكيل تجربة القارئ وتأويل النصّ؟

وتتفرع عن هذا السؤال، الأسئلة الفرعية التالية:

١) ما مكونات أفق الانتظار الذي يبنيه القارئ قبل التوجه إلى قراءة الرواية، وكيف يتحول هذا الأفق أثناء عملية القراءة وبعدها؟
٢) كيف تخلق الرواية مسافة جمالية بين أفق القارئ وأفق النصّ، خاصة في تعاملها مع قضايا الهوية والانتماء والصراع الثقافي؟
٣) أيّ المواضع في النصّ يمكن اعتبارها فراغات أو مناطق عدم تعيين تدفع القارئ إلى المشاركة الفعالة في اكتمال بناء المعنى؟

أما الفرضية التي ينطلق منها هذا البحث فمفادها:

تقدم رواية ساق البامبو نموذجاً سردياً خصباً لتطبيق نظرية التلقي، حيث أن بنيتها المفتوحة، وقضيتها الإشكالية، وتعدد الأصوات فيها، تحفز القارئ على كسر أفق انتظاره المسبق، وتخلق مسافة جمالية مستمرة معه، وتترك فراغات واسعة أمامه، مما يجعله شريكا فعالا في بناء المعنى، وينتج عن ذلك تأويلات متعددة ومتباينة للنصّ الواحد، تختلف باختلاف الخلفيات الثقافية والتجارب الشخصية للقراء.

١-٢. أهمية الدراسة

تستمد هذه الدراسة أهميتها من مصدرين رئيسيين:

الأول هو الأهمية النظرية: تساهم المقالة هذه، في سد جزء من الفجوة في الدراسات النقدية العربية الحديثة، من خلال تقديم قراءة معاصرة لرواية مهمة، باستخدام إطار نظري لم يُستنفد بعد في القراءات النقدية المحلية لها. كما تثري المكتبة النقدية العربية بتطبيقٍ عملي لمنهج نظرية التلقي الذي يركز على الديناميكية بين النصّ والقارئ.

والثاني هو الأهمية التطبيقية: تقدم نموذجا تحليليا يمكن للباحثين الاعتماد عليه في مقاربة نصوص روائية عربية أخرى، خاصة تلك التي تتناول قضايا إشكالية معاصرة، مما يوسع من آفاق التحليل النقدي ويحرره من الاحتكام إلى المناهج الأحادية.

١-٣. خلفية البحث

عند مراجعة الدراسات النقدية التي تناولت رواية ساق البامبو، نجد أنّها انقسمت إلى عدة محاور رئيسية، أغلبها دار في فلك المناهج التقليدية:

أ. دراسات تناولت قضية الهوية: ركّزت عدد من الدراسات على تحليل أزمة الهوية التي يعانيها البطل، عيسى بين انتمائه الكويتي من خلال أبيه والفلبيني من خلال أمّه، معتبرة إيّاها نموذجاً لإشكالية الهجنة الثقافية والانتماء في الخليج الفارسي. منها:

الغيث، منى سعود. (٢٠١٤). *أزمة الهوية في* رواية "ساق البامبو" لسعود السنعوسي. مجلة جامعة الملك عبد العزيز – الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٢(٢)، ٤٥-٦٧.

الخرافي، عبدالله. (٢٠١٥). تشظي الهوية في الرواية الخليجية: "ساق البامبو" أنموذجاً. مجلة آفاق الثقافة والتراث، ٢٣(٩١)، ١١٢-١٣٤.

العلي، نورة محمد. (٢٠١٦). صراع الهوية في رواية "ساق البامبو": دراسة سوسيوثقافي. مجلة الدرسات الأدبية، ٣٨(٤)، ٧٨-١٠٢.

ب. دراسات حللت البنية السردية: اهتمت دراسات أخرى بتقنيات السرد في الرواية، مثل تعدد الأصوات وتداخل الأزمنة، وكيفية استخدامها لبناء عالم الرواية المعقد. منها:

الشمري، فهد. (٢٠١٥). تقنيات السرد في رواية "ساق البامبو" لسعود السنعوسي. مجلة اللغة العربية وآدابها، ١١(٣)، ١٤٥-١٦٧.

الجعفري، هدى. (٢٠١٦). تعدد الأصوات السردية في رواية "ساق البامبو". مجلة الأثر، ١٥(٤٢)، ٨٩-١١٢.

الفضلي، سعد. (٢٠١٧). البنية الزمنية في رواية "ساق البامبو": دراسة تحليلية. مجلة الآداب، ٢٨(١)، ٥٦-٧٨.

ج. دراسات انطلقت من مناهج اجتماعية وسياسية: قاربت بعض القراءات الروايةَ بوصفها خطاباً نقدياً يسلط الضوء على إشكاليات اجتماعية مثل الطبقية والتمييز والعنصريّة. منها:

العمير، عبد العزيز. (٢٠١٦). الخطاب الاجتماعي في رواية "ساق البامبو". مجلة العلوم الإنسانية، ٢٤(٢)، ١٣٤-١٥٦.

القحطاني، محمد. (٢٠١٧). تمثيلات الآخر في الرواية الخليجية: "ساق البامبو" نموذجاً. مجلة جامعة دمشق للآداب، ٣٣(٢)، ١٦٧-١٨٩.

الزهراني، فاطمة. (٢٠١٨). الخطاب السياسي في روايات سعود السنعوسي. مجلة التراث والدراسات الإنسانية، ٩(١), ٧٨-١٠١.

أما فيما يخص التطبيقات العربية لنظرية التلقي، فهناك عدد من الدراسات التي حاولت استعارة مفاهيمها لقراءة نصوص عربية مختلفة، مثل تطبيقها على شعر أدونيس أو نصوص روائية لمحمد شكري أو صنع الله إبراهيم. إلا أن الملاحظ على هذه التطبيقات –مع أهميتها– أنها غالباً ما تظل حبيسة الإطار النظري العام، أو لا تغوص في تحليل التفاعل الديناميكي بين جميع آليات التلقي (الأفق، المسافة، الفراغات) وبنية النصّ التحليلية بشكل متكامل.

من هذا المنطلق، تتكئ هذه الدراسة على فراغ واضح في المكتبة النقدية العربية، يتمثل في عدم وجود دراسة متخصصة –حسب علم الباحث– تطبق نظرية التلقي بمفاهيمها التفصيلية (أفق الانتظار، المسافة الجمالية، القارئ الضمني، الفراغات) على رواية ساق البامبو بوصفها نموذجاً سردياً معاصراً يزخر بإمكانيات تحليلية هائلة في ضوء هذا المنهج. وهو الفراغ الذي تسعى هذه الورقة البحثية إلى سده، مقدمةً قراءةً جديدةً تنطلق من قلب العلاقة الجدلية بين النصّ والقارئ.

٢. الإطار النظري

٢-١. نشأة نظرية التلقي وتطورها

شكّلت أواخر ستينيات القرن العشرين منعطفاً حاسماً في تاريخ النقد الأدبي مع بروز نظرية التلقي التي انبثقت من جامعة كونستانس الألمانية. جاءت هذه النظرية كردٍّ فعل على المناهج السائدة آنذاك، سواء تلك التي ركّزت على المؤلف وسيرته كالمنهج التاريخي والبيوجرافي، أو تلك

التي تعاملت مع النصّ بوصفه كياناً منغلقاً على ذاته يحمل معنى ثابتاً كما في الشكلانية الروسية والبنوية. دافعت المدرسة عن فكرة محورية مفادها أن الأدب ليس مجرد وعاء للمعنى، بل هو حوار ديناميكي بين النصّ والقارئ. يرتبط تأسيس هذه المدرسة ارتباطاً وثيقاً باسمَين بارزَين، هما عِماداها النظريان:

هانز روبرت ياوس:[٢] قدّم في محاضرته الافتتاحية عام ١٩٦٩ بعنوان تاريخ الأدب كتحدٍّ لعلم الأدب –التي نشرت لاحقاً في كتابه نحو جمالية التلقي[٣]– المفهوم الأساسي للنظرية. انتقد ياوس فكرة وجود معنى موضوعي وجوهري في النصّ، مؤكداً أن المعنى يتشكل عبر الزمن من خلال تفاعل متتابعات من القراء. وأكّد أن فهم أيِّ عمل أدبي لا يتم إلا من خلال تتبع أفق التوقعات الذي استقبله القراء في عصور مختلفة، مما يجعل تاريخ الأدب ليس تاريخاً للنصوص فحسب بل هو تاريخ تلقّي هذه النصوص وتأويلها عبر تتابع الأفق التاريخية. وقد أوضح الناقد العربي عبدالله الغذامي (٢٠٠٧: ٨٨) أن ياوس قد حوّل الاهتمام من المؤلف إلى المتلقي، وجعل من القارئ شريكاً في صناعة المعنى.

فولفغانغ آيزر:[٤] إذا كان ياوس مهتماً بالبعد التاريخي والجماعي للتلقي، فإن آيزر ركّز على البعد الظاهراتي (الفينومينولوجي) والفردي لعملية القراءة. في عمله المؤثر الفعل القرائي: نظرية جمالية الاستجابة،[٥] حلّل آيزر التفاعل الذي يحدث في لحظة القراءة ذاتها بين بنية النصّ وعقل القارئ. وقدّم مفهومَي القارئ الضمني والفراغات كآليتين أساسيتين تنظم هذه العلاقة التشاركية في إنتاج المعنى. يرى آيزر أن «النصّ لا يحمل معنى جوهرياً، بل يقدّم مخططاً يتعين على القارئ إكماله» (Iser، ١٩٧٨: ١٠٧). ويعلق سعيد يقطين (٢٠٠٧: ١٢٣) على هذا قائلاً: «لقد قدّم آيزر مفهوماً جديداً للقارئ، لم يعد متلقياً سلبياً، بل أصبح فاعلاً في النصّ».

معاً، شكّل عمل ياوس وآيزر ثورة حقيقية حوّلت الانتباه من «ما يعنيه النصّ» إلى «ما يفعله النصّ بالقارئ»، مؤسسَين بذلك لمرحلة جديدة في الدراسات الأدبية تضع المتلقي في قلب العملية النقدية.

٢-٢. مفاهيم النظرية الأساسية

أفق الانتظار:[٦] يُعد هذا المفهوم، الذي صكّه ياوس، حجر الزاوية في النظرية. وهو يشير إلى مجموعة التوقعات والافتراضات المسبقة التي يحملها القارئ عند اقترابه من أي عمل أدبي (ياوس، ٢٠٠٤: ٤٤). وقد شرح صلاح فضل (١٩٩٥: ٧٦) هذا المفهوم بقوله: «إن أفق الانتظار هو الإطار المرجعي الذي يتحرك فيه القارئ، والمكون من معارفه السابقة وتجاربه وثقافته». يتشكل هذا الأفق من تداخل عدة عناصر هي:

الخبرة الأدبية: معرفة القارئ بالأجناس الأدبية وتقنياتها السردية والتقاليد الأسلوبية.

الخلفية الثقافية والاجتماعية: القيم والمعتقدات والسياقات التاريخية السائدة في بيئة القارئ.

السياق التاريخي: معرفة القارئ بظروف إنتاج النصّ والعصر الذي كُتب فيه.

تحدث عملية القراءة الفعالة، حسب ياوس، عندما يصطدم أفق انتظار القارئ بـــأفق النصّ. إذا كان العمل الأدبي مجرد تلبية كاملة لهذه التوقعات، فإنه يتحول إلى عمل تقليدي وسطحي. أما إذا خالف هذه التوقعات أو حطّمها جزئياً، فإنه يخلق مسافة جمالية تتحدى إدراك القارئ وتدفعه إلى مراجعة وتعديل أفقه الأصلي، مما يؤدي إلى تجربة جمالية أعمق وإعادة تشكيل لوعيه.

المسافة الجمالية:[٧] هي الفجوة أو الفرق الناشئ بين أفق انتظار القارئ المسبق وأفق النصّ كما يتجلى أثناء عملية القراءة. لاتعني هذه المسافة انفصالا تاماً، بل هي حيِّزٌ تفاعليٌّ خلاقٌ. عندما تكون المسافة الجمالية محسوبة، فإنّها تُحدث مفاجأة وتشوياً لدى القارئ؛ تتحدى افتراضاته المسبقة وتدفعه إلى التساؤل. وتؤدي في النهاية إلى إعادة تشكيل أفق انتظاره، بحيث يخرج من تجربة القراءة بفهم جديد أو رؤية مغايرة (Iser، ١٩٧٨: ١١٨). يشرح أيضاً عبدالله إبراهيم (٢٠٠٣: ١٥٤) ذلك بقوله: «عندما يخالف النصّ توقعات القارئ، تنتج مسافة جمالية تدفعه إلى إعادة النظر في أفقه وتعديله». كلّما كان العمل الأدبي قادراً على خلق هذه المسافة وإدارتها ببراعة، فارتفعت قيمته الجمالية وقدرته على التأثير.

القارئ الضمني:[٨] مصطلح مركزي في نظرية آيزر، ولايشير إلى قارئ حقيقي بعينه، بل هو بناء نظري يحتويه النصّ نفسه. إنه صورة القارئ المثالي الذي يتوقعه النصّ ويستبطنه في بنيته، وهو القارئ القادر على «استخلاص جميع الإشارات والفراغات التي يضعها المؤلف بين السطور» (Iser، ١٩٧٤: ١٣٤). يعمل القارئ الضمني كمجموعة من التوجيهات المضمنة في النصّ تهدي القارئ الحقيقي خلال رحلته التأويلية. فالقارئ الضمني ليس قارئاً حقيقياً، بل هو بنية نصّية توجه عملية القراءة وتستدعي مشاركة القارئ. فهو يمثل الموقع الذي يجب أن يشغله القارئ الحقيقي، والموقف الذي يجب أن يتخذه، لتحقيق التفاعل الأمثل مع النصّ.

الفراغات/ أماكن عدم التعيين:[٩] هذا المفهوم هو إسهام آيزر الأبرز في فهم آلية التفاعل بين النصّ والقارئ. الفراغات هي المواضع «غير المكتملة، أو المسكوت عنها، أو المبهمة في النصّ، والتي تركها المؤلف عمدا ليكملها القارئ باستخدام خياله ومعرفته وخبرته» (Iser، ١٩٧٨: ١٣٩). هذه الفراغات لا تعيب النصّ، بل هي شرط جوهري لجماليته، فهي:

تحوّل القراءة من عملية استقبال سلبية إلى نشاط إبداعي تشاركي؛

تتيح مساحة للتأويلات المتعددة، إذ أن كلّ قارئ يملأ هذه الفراغات بناءً على مخزونه الثقافي والفردي؛

توجد في جميع مستويات النصّ؛ في دوافع الشخصيات، في الفجوات الزمنية، في النهايات المفتوحة، وفي ما لم يُقل صراحةً في الحوار أو الوصف.

تؤكد هذه الفراغات على أن «القراءة هي عملية إبداعية تشاركية، يحول فيها القارئ المادة النصّية إلى تجربة جمالية فريدة» (Iser، ١٩٧٨: ١٤٢).

٣. التحليل والمناقشة

فى هذا القسم يتمّ تطبيق المفاهيم النظرية التي تم استعراضها، على النصّ الروائي، في محاولة للإجابة عن أسئلة البحث واستكشاف كيفية تفعيل ساق البامبو لآليات التلقي، مما يجعل من قراءتها تجربة تفاعلية فريدة.

المحور الأول: أفق الانتظار ورواية *ساق البامبو*؛ تفكيك التوقعات وإعادة بنائها

قبل أن يشرع القارئ في الصفحة الأولى من الرواية، قد يشرع، لا شعورياً، في بناء أفق انتظاره من خلال عدة عناصر مسبقة هي:

العنوان ساق البامبو؛ من الترميز النباتي إلى التشريح الاجتماعي: يثير العنوان فضولاً جمالياً ويبدو للقارئ بوصفه استعارة جمالية. لكن النصّ يحوّل هذا الترميز إلى تشريح لبنية المجتمع.

لفظ ساق في اللغة العربية من الألفاظ متعددة الدلالات، وهو ما يمنح العنوان بُعداً إشكالياً وغنياً. هناک ثلاث دلالات رئيسة لهذه الكلمة ذات صلة وثيقة بتوقع القارئ ومضامين الرواية :

✦ **الدلالة النباتية**

الساق في عالم النبات هو الجذع أو الجذمور الذي يحمل الأغصان والأوراق، ويمثل عمود النبات وعماده. نبات البامبو معروف بـــ "ساقه" الطويلة المستقيمة والقوية للغابة، والتي ترمز إلى: الصلابة والمرونة في نفس الوقت فهو يتحمل الرياح والعواصف؛ الجذور العميقة حتى لو لم تكن ظاهرة؛ النمو السريع والارتفاع نحو الأعلى. هذه الدلالة تدفع القارئ إلى توقع قصة عن الصمود، والتحدي، والنمو في وجه الصعاب، وهو ما ينطبق على بطل الرواية عيسى الذي يحاول النمو والبقاء في ظلّ ظروف صعبة.

✦ **الدلالة الجسدية**

الساق في الإنسان هو العضو الذي يحمل الجسد ويمكنه من الوقوف والحركة. في الاستخدام الأدبي والرمزي، ترتبط "الساق "بـــ:

القوة: فصاحب الساقين القويتين أقدر على المواجهة.

الاستمرارية: فالساقين هما اللتان تحملان الإنسان في رحلته الطويلة.

الكرامة والوقار: فـــ "ممدود الساق" في بعض التعابير هو الشخص ذو المنزلة الرفيعة.

وفي الثقافة العربية، يُستخدم تعبير "ساق" أيضاً كناية عن "المرأة"، لا سيما في سياق الجمال أو القوة. فعندما يقال "امرأة ذات ساق" أو يُوصف جمال "الساق"، فإنّما يرمز إلى جمال المرأة وقوتها وأناقتها. لذا، فقد يكون العنوان ساق البامبو مُضللاً (بشكل إيجابي) ويوحي للقارئ بوجود بطل أنثى قوية أو محورية في القصة (وهى الأم جوزفين التي هى بالفعل عماد القصة ومحور معاناتها).

✦ **الدلالة الرمزية والوجودية**

العبقرية في العنوان أنه بدمج الدلالتين **"ساق = قوة + استمرارية"** مع **"البامبو = مرونة + جذور عميقة"**، يخلق كائناً رمزياً جديداً هو **"ساق البامبو"**، الذي يمثل:

١) **الإنسان المهجّن** الذي يجمع بين أصلين (كالبامبو الذي ينمو بين الثقافات).
٢) **الكائن المرن** الذي ينحني لكنه لا يتكسر (كخوصة البامبو).
٣) **الكائن الحامل لهموم رحلته** (كالساق التي تحمل الجسد).

فشجرة البامبو، برقتها ومرونتها وقدرتها على النمو في ظروف قاسية، ترمز للصمود والجذور العميقة. قد يتوقع القارئ أن الرواية ستتناول قصة صراع وتحدٍّ، ربّما لقصة امرأة قوية (بشكل مشابه لدلالات "ساق" في العربية)، أو قصة كائن هشّ يواجه العالم. يضع العنوانُ القارئَ في فضاء من الترميز النباتي الذي يحمل إيحاءات النماء والهشاشة معا. ف"الساق" ليست مجرد جذع، بل هي "العرق" الناقل، "الأصل". يوضح الراوي: «ساق البامبو هي الجذمور... العرق الذي تسري فيه الحياة... أنا كساق البامبو... لا أنتمي إلى مكان واحد» (السنعوسي، ٢٠١٢: ٧). هنا، يتحول التوقع الجمالي إلى سؤال وجودي: من يحمل "ساق البامبو" في مجتمع يقدس "الأصالة" الضيقة؟

جائزة البوكر وخطاب التوقع الأيديولوجي: يشكّل فوز الرواية بالجائزة العالمية للرواية العربية عام ٢٠١٣ أحد أقوى مكونات أفق الانتظار. فهذه الجائزة ترفع سقف التوقع الأدبي والفني؛ فيتوقع القارئ نصّاً متميزاً في بنيته السردية، عميقاً في إشكالياته، وجريئاً في طروحاته. كما يُشكّل أفقَ انتظار لخطابٍ نقدي جريء وتربط في ذهنه، ولو جزئياً، بين الرواية وقضايا اجتماعية أو سياسية حساسة، وهو ما تؤكده حكاية الرواية ذاتها. يتوقع القارئ رواية تحاكم المجتمع الكويتي. لكن الرواية تتعامل مع هذه التوقعات بدهاء؛ فهي لا تقدم إدانة مباشرة، بل تعري آليات الإقصاء من الداخل. في مشهد مؤثر، يحلم عيسى بأن يصبح «كائناً من نور... بلا عرق، بلا لون، بلا هوية» (نفسه، ١٥٠). هذه الصورة لا تلبي توقع خطاب احتجاجي مباشر، بل تتجاوزه إلى طرح أسئلة فلسفية عن الهوية والوجود، مما يخلق مسافة جمالية مع أفق القارئ السياسي المباشر.

الموضوع (ابن الخادمة الفلبينية والأب الكويتي): هذا هو المحرك الأساسي لأفق الانتظار الأيديولوجي والاجتماعي. القارئ، خاصة في العالم العربي– الخليجي، يأتي إلى النصّ بمجموعة من التوقعات المبنية على الخطاب السائد حول هذه القضية. قد يتوقع خطاباً للتضحية يُصوّر البطل عيسى كضحية بريئة للمجتمع الطائفي، والأب كمجرد نموذج للقمع الذكوري الأبوي، والمجتمع الكويتي ككتلة من العنصرية الموحدة. يتشكل أفق انتظار لرواية احتجاجية تقدم إدانة واضحة وسهلة.

كيف تصدم الرواية أفق انتظار القارئ؟ تعمل الرواية ببراعة على تفكيك هذه التوقعات المسبقة واحدة تلو الأخرى، مما يخلق صدمة جمالية تؤدي إلى إعادة تشكيل الأفق. والرواية تفكك التوقعات هذه، عبر:

تعقيد الشخصيات، تحطيم النمطية: بدلاً من تقديم الأب، راشد، كشرير نمطي، تقدِّمه الرواية بشخصية معقدة ومتأملة. إنه الرجل الذي يحبّ جوزفين حقاً –ولكن خلافاً لحدود المجتمع والعائلة– وهو الذي يريد الاعتراف بابنه لكنّه عاجز عن مواجهة النظام بأكمله. مشهداته مع عيسى بين القسوة والندم، بين الطرد والعودة السرية لرؤيته، تكسر الصورة النمطية المتوقعة. مشهد موته هو لحظة تحولٍ كبرى في أفق القارئ: «انحنى يقبل جبهتي ... دموعه تبلل وجهي ... قال: 'اغفر لي يا بني'» (نفسه، ٢٩٨). هذه اللحظة لا تمثل ندماً بسيطاً، بل هي انهيار لصورة الجلاد في ذهن القارئ. فالأب نفسه ضحية لساق البامبو الاجتماعية التي تحدد من ينتمي ومن لا ينتمي. فالقارئ الذي جاء ليحكم على راشد يجد نفسه مضطراً لفهم تعقيداته، بل وقد يتعاطف مع مأزقه الإنساني، مما يخلق أزمة أخلاقية وتأويلية داخلية.

رفض النهاية السعيدة التقليدية: النهاية المفتوحة للرواية، حيث يعود عيسى إلى الفلبين ويقرر العيش هناك، تشكل صدمة لأفق انتظار القارئ الذي اعتاد على حلول درامية في الأدب. لم يتحقق الحلم بالاندماج الكامل في الكويت، ولم ينتصر الحق بشكل قاطع. بدلاً من ذلك، تقدم الرواية حلاً مركباً: القبول بالهجينة نفسها كهُوية. هذا الرفض للختام السهل يجبر القارئ على مواصلة التفكير والتأويل بعد انتهاء الصفحة الأخيرة، وهو ما يعد تحويلاً جذرياً لأفق انتظاره حول وظيفة النهاية الروائية.

آلية تحويل الأفق، من التعاطف إلى الفهم: تتم عملية تحويل الأفق بشكل تدريجي. فمع كل فصل، تقدم الرواية طبقة جديدة من التعقيد تدفع القارئ إلى مراجعة أحكامه. القارئ الذي بدأ بتوقعات بسيطة (ضحية/جلاد) يجد نفسه منغمساً في سردية ترفض هذه الثنائية. يتحول من قارئٍ يحكم إلى قارئٍ يتساءل، ومن متلقٍ سلبي لخطاب اجتماعي جاهز إلى مشاركٍ نشط في تفكيك هذا الخطاب وإعادة بنائه. تتم عملية إعادة تشكيل الأفق عبر تحويل القارئ من موقع المتعاطف مع الضحية إلى موقع المشارك في تحليل البنية الاجتماعية المعقدة. لم يعد السؤال: من المخطئ؟ بل أصبح: كيف تعمل هذه الآلة الاجتماعية التي تطحن الجميع؟ هكذا، يخرج القارئ من التجربة بأفق جديد موسع، أصبح فيه مفهوم الهوية والانتماء أكثر غنى وتعقيداً مما كان عليه قبل القراءة.

المحور الثاني: استراتيجيات النصّ وإدارة المسافة الجمالية، تشظي الوعي وبناء المسافة النقدية

تمتلك ساق البامبو استراتيجيات سردية بالغة التطور، تمكنها من خلق مسافة جمالية ديناميكية بين القارئ والنصّ، تحول دون الاندماج الانفعالي الكامل وتدفع إلى التأمل النقدي. فما يلي هو من هذه الاستراتيجيات:

تعدد الأصوات السردية؛ تشريح اللحظة الانفعالية: أكثر هذه الاستراتيجيات بروزاً هي استخدام صوتَين سرديَين. لا يقتصر تعدد الأصوات على مجرد رواية الحدث من وجهتَي نظر، بل هو آلة لتشريح التجربة الإنسانية إلى مكوناتها النفسية والاجتماعية.

أ. صوت عيسى الطفل: وهو صوت مباشر، غريزي، مليء بالبراءة والألم. يروي الأحداث كما يعيشها في لحظتها، بكل حساسيتها المفرطة: «كان صوت أبي كالسكين في أحشائي... لم أفهم لماذا يحبني ثم يطردني؟» (نفسه، ٨٩). هنا، اللغة مباشرة، حسية، تعبر عن الألم البريء غير المفهوم. هذا الصوت يجذب القارئ الانفعالي، ويخلق تعاطفاً فورياً مع معاناته.

ب. صوت عيسى البالغ (الراوي العليم): مباشرة بعد صوت الطفل، يتدخل صوت الراوي البالغ ليقول: «كنت طفلاً لا يفهم أن الحب أحياناً يكون أعجز من الكراهية... وأن الرجال يقتلون أبناءهم خشية الفضيحة» (نفسه، ٩٠). وهو صوت متأمل، ناضج، يحلل الأحداث بمنظور زمني لاحق. هذا الصوت يعلق على أفعال الشخصيات، يحلل دوافعها، ويضع تجربة الطفل في سياقها الاجتماعي والثقافي الأوسع.

تخلق هذه الثنائية السردية مسافة جمالية مستمرة. فبينما ينغمس القارئ في ألم الطفل المباشر، يأتي صوت البالغ ليمنحه مسافة للتأمل. مثلاً، عندما يصف الراوي الطفل مشهد طرده بقسوة، يتبع ذلك تحليل الراوي البالغ لخلفية الأب وصراعاته. هذه المسافة تمنع القارئ من الانحياز الكامل والسطحي، وتدفعه إلى رؤية المشهد من زوايا متعددة، مما يثري التجربة القرائية ويحوِّلها من الانفعال إلى التأمل النقدي.

الصراع الداخلي للبطل، المسرح الداخلي للهوية: يمثل سؤال الهوية «من أنا؟» الفراغ المركزي الذي تدور حوله الرواية. هذا السؤال ليس مجرد فكرة تطرحها الرواية، بل هو فضاء جمالي تترك فيه القارئ يحلق بتأملاته. الحوار الداخلي ليس مجرد تساؤلات، بل هو محكمة قضاء داخل الوعي:

– أنت كويتي، دم أبيك يجري في عروقك.

– لكن وطني رفضني.

– إذن أنت فلبيني، دم أمك يدافع عنك.

– لكني لا أشبههم، لغتهم لا تلائمني.

– من أنت إذن؟

– أنا ذلك الفراغ بين الاثنين. (نفسه، ٢١٢).

هذا الحوار لا يمثل حيرة عابرة، بل هو تشريح لـــ "اللاهوية" أو "الهوية السلبية". القارئ لا يتابع الصراع من الخارج، بل يُجبر على دخول هذا المسرح الداخلي والوقوف في المسافة بين هذه الأصوات المتصارعة، مما يجعله شاهداً على ولادة هوية جديدة لا تنتمي إلى الجغرافيا التقليدية. كل مشهد من مشاهد الحيرة والرفض والبحث عن الذات هو دعوة للقارئ ليقف على هذه المسافة ويسأل نفسه السؤال ذاته: أين حدود الهوية؟ إلى أي مدى تحدِّدها الدماء، وأيّها تحددها التربة والثقافة؟ هذه المسافة بين تجربة عيسى المباشرة وتجربة القارئ الشخصية هي التي تولد الأثر الجمالي العميق، فهي تجعل من قضية عيسى قضية إنسانية عالمية وليست مجرد حالة فردية.

المسافة الزمنية والتأويلية: تخلق الفجوة بين زمن الرواية وزمن السرد مسافة جمالية تسمح بإعادة تقييم الأحداث. فالبطل البالغ يعيد قراءة ماضيه: «الآن أفهم أن أبي لم يكن شريراً... كان رجلاً عاجزاً عن مواجهة نظام أكبر منه» (نفسه، ١٥٦). هذه المسافة تتيح للقارئ مشاركة البطل في عملية إعادة التقييم.

المسافة الثقافية والهوياتية: تتعمق المسافة الجمالية في مشاهد الصراع الهوياتي، حيث يتحول عيسى إلى ساحة صراع ثقافي: «في الكويت يقولون لي: أنت فلبيني... وفي الفلبين يقولون لي: أنت كويتي... فأين مكاني؟» (نفسه، ٢١٢). هذه المسافة تدفع القارئ إلى مراجعة مفاهيمه الثابتة عن الهوية والانتماء.

المحور الثالث: الفراغات ومشاركة القارئ في بناء المعنى؛ تشريح مناطق الظل

تزخر ساق البامبو بـــالفراغات الاستراتيجية التي تحوِّل القارئ من متلقٍ إلى شريك لا غنى عنه في اكتمال المعنى. والفراغات هنا ليست ثغرات في النص، بل هي مناطق ظلّ استراتيجية تُجبر القارئ على أن يصبح محققاً أنطولوجياً يبحث عن المعنى في مناطق الصمت. ومن أبرز هذه الفراغات:

فراغ المشاعر؛ لغز جوزفين: تقدم الروايةُ جوزفينَ من خلال عينَي الآخرَين؛ من عين عيسى الطفل الذي يراها مصدر حب وألم. مشاعر جوزفين الأم تمثل أكبر فراغ في الرواية. النصّ يعرض أفعالها لكنه يحجب دواخلها. في المشهد الذي تقرر فيه الابنُ الرحيل، يقول النص: «نظرت إليّ نظرة احتوت كل شيء... الحب، الذنب، الألم، القسوة... ثم أدارت ظهرها ومشت» (نفسه، ٢٨٥). هذا الوصف لا يحل اللغز، بل يعمِّقه. ما هي نسبة الحب إلى الذنب؟ هل كانت تضحي بنفسها من أجله؟ أم كانت تفرّ من عبئه؟ القارئ مطالب بملء هذا الفراغ بناءً على رؤيته للحبّ والأمومة والاضطهاد. قارئ قد يراها أمّاً مقدسةً، وآخر قد يراها امرأة منهكة. الفراغ هنا يتحول إلى مرآة لقيم القارئ نفسه.

ومن عَين راشد الذي يراها حبّاً محرماً وندماً. لكن مشاعرها الداخلية العميقة تظل منطقة ظلٍّ كبيرة. لماذا قبلت بهذه العلاقة؟ ما مدى حبها الحقيقي لراشد مقابل حاجتها الاقتصادية؟ هذا الفراغ يجبر كل قارئ على بناء صورة جوزفين من خلال منظوره الخاص. قارئة قد تراها امرأة مستغلة، بينما قد تراها أخرى ضحية لنظام أكبر منها.

الأسباب العميقة لقسوة راشد الأب: رغم أن السرد يقدِّم بعض المبررات (الضغط الاجتماعي، العائلة، الشرف)، إلا أن الدوافع النفسية العميقة لسلوكه المتقلب تظلّ غير مكتملة. دوافع الأب لا تُقدَّم بشكل مباشر، بل من خلال أفعال متناقضة. في أحد المشاهد، «أحضر لي هدية ثمينة ثم قال: 'لا تخبر أحداً أنّك قابلتني'» (نفسه، ١٣٢). هذا التناقض بين العطاء والإنكار هو فراغ دلالي كبير. القارئ يحاول سدّ هذا الفراغ: هل كان يحبه حقاً؟ أم كان يشعر بالذنب فحسب؟ أم كان يحاول تملّكه سراً؟ الإجابة ليست في النصّ، بل في تأويل القارئ لطبيعة الحب والأبوة في ظلّ النظام الأبوي. مازال القارئ يسأل هل كان راشد أنانياً بحت؟ أم كان خائفاً؟ أم أنه كان يحاول، بطريقته المعوجة، حماية عيسى من عالمٍ رفضه؟ القارئ مطالب بسدِّ هذه الفجوة بناءً على فهمه للطبيعة البشرية المعقدة.

مصير عيسى النهائي؛ المختبر التأويلي الأعظم: أكبر فراغ تتركه الرواية هو النهاية. فالنهاية المفتوحة هي التتويج الاستراتيجي لفراغات النص. ماذا سيحدث لعيسى في الفلبين؟ هل سيجد السلام الذي ينشده؟ أم أن شعوراً جديداً بالاغتراب سيواجهه هناك؟ هل سيعود يوماً ما؟ هذا الفراغ في المصير هو تأكيد على أن رحلة الهوية لا تنتهي، وأن الإجابة ليست في النصّ، بل في حياة كل قارئ وفي تصوره لمستقبل البطل. إنه فراغ يمنح القارئ ملكية على النهاية، فيصبح هو من يختتم الرواية في عقله. القارئ العربي قد يميل إلى تفسير دوافع عيسى من خلال فهمه لتركيبة المجتمع القبلي وضغوطه. قد يكون أكثر قدرة على رؤية التضارب بين الحبّ والمسؤولية الاجتماعية في شخصيته. قد يملأ فراغ النهاية بشعور من الحزن على خسارة عيسى للمجتمع العربي، أو بتفهم لقراره. بينما قارئ من جنوب آسيا قد يركز أكثر على معاناة الأم وابنها كممثلين لقصة استغلال وهجرة. قد يملأ فراغ مشاعر جوزفين بمشاعر الإهانة والصبر من أجل الابن. وقد يرى في نهاية عيسى عودة إلى الجذور وانتصاراً للهوية المهمشة. الفراغ هنا يصبح فضاء للصراع التأويلي، حيث تعيد كل خلفية ثقافية إنتاج النصّ وفق رؤيتها للعالم.

هكذا، تتحول ساق البامبو من نصّ ثابت إلى حدث قرائي متغير، تتعدد تأويلاته بعدد قرائه، مؤكدة على نجاحها في تفعيل الآليات المركزية لنظرية التلقي، وجعل القارئ شريكاً حيوياً في خلق عالمها الدلالي الغني والمعقد.

٤. الخاتمة

من خلال هذا التحليل التفصيلي، يتضح أن ساق البامبو لا تطبق نظرية التلقي بطريقة آلية، بل تدمجها في نسيجها السردي. إنها تستقبل القارئ بأفق انتظاره ثم تعمل على تدميره بشكلٍ منهجي، وتخلق مسافة نقدية عبر تقنيات سردية متطورة، وتترك فراغات استراتيجية تجعل من كل قراءة حدثاً تأويلياً فريداً. وهكذا تتحول الرواية من نصّ أدبي إلى مشروع نقدي حي، يثبت أن المعنى ليس جوهراً مخبأً في النصّ، بل هو علاقة ديناميكية تولد في الفضاء بين النصّ والقارئ. وخلصت الدراسة إلى أن التفاعل بين بنية الرواية المفتوحة وآليات التلقي ينتج قارئاً مختلفاً. فالقارئ يخرج من تجربة قراءة ساق البامبو وقد تحول أفقه، ليس حول الرواية فحسب، بل حول مفهوم الهوية ذاتها. لقد أصبح شريكاً في إنتاج دلالة النصّ، وحاملاً لأسئلته الإشكالية، بعد أن نجح النصّ في تحويله من متلقٍ إلى مشاركٍ في التشخيص والتحليل. ختاماً، تؤكد هذه الدراسة أن رواية ساق البامبو لم تقدم قصة عن هوية مفقودة فحسب، بل قدّمت نموذجاً لأدب حيوي يتفاعل مع قارئه، يشكله ويشكلها، في حوار دائم يجعل من الأدب فضاءً لاكتشاف الذرة والمجتمع معاً. وهو ما يجعل من هذه الرواية، إلى جانب قيمتها الفنية، وثيقة مهمة في سجل الوعي الإنساني المعاصر.

پی‌نوشت‌ها

١. Reception Theory

٢. Hans Robert Jauss

٣. Toward an Aesthetic of Reception

٤. Wolfgang Iser

٥. The Act of Reading: A Theory of Aesthetic Response

٦. Horizon of Expectations

٧. Aesthetic Distance

٨. The Implied Reader

٩. Gaps / Leerstellen

قائمة المصادر

١) إبراهيم، عبدالله. (٢٠٠٣). **المتخيل السردي مقاربات نقدية في التناص والرؤي والدلالة**. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

٢) السنعوسي، سعود. (٢٠١٢). **ساق البامبو**. بيروت: دار الآداب.

٣) الطنكول، عبد الرحمن. (٢٠١٥). **نظرية التلقي: من ياوس إلى جادامير**. في غير محله: دار الفكر.

٤) الغذامي، عبد الله. (٢٠٠٧). **النقد الثقافي**. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

٥) الفضل، صلاح. (١٩٩٥). **أساليب الشعرية المعاصرة**. بيروت: دار الآداب.

٦) ياوس، هانس روبيرت. (٢٠٠٤). **جمالية التلقي؛ من أجل تأويل جديد للنصّ الأدبي**. ترجمة رشيد بنحدو. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

٧) يقطين، سعيد. (٢٠٠٧). **جدل النصّ والقارئ**. الرباط: دار الأمان.

مقالات باللغة الإنجليزية

١) Iser, W. (١٩٧٤). The Implied Reader: Patterns of Communication in Prose Fiction from Bunyan to Beckett. Johns Hopkins University Press.

٢) Iser, W. (١٩٧٨). The Act of Reading: A Theory of Aesthetic Response. Johns Hopkins University Press.

التنظيرات و النقد في الأدب العربي

السنة الثالثة، العدد ١١، خريف ١٤٠٢

صص: ٦٠-٤٥

DOI: ١٠,٢٢٠٣٤/JRAL.٢٠٢٥,٥٦٠٤٠٠,١٠٧٧

رمان «ساق بامبو» از منظر نظریهٔ دریافت: پژوهشی در باب ساز و کار معنا و کنش متقابل خواننده

سمیه سادات طباطبائی [١]

(تاریخ دریافت: ١۴٠۴,٠٨,٢۶، تاریخ پذیرش: ١۴٠۴,٠٩,٠۵)

چکیده

این مطالعه، خوانشی است از رمان ساق البامبو، اثر سعود السنعوسی از منظر نظریهٔ دریافت، که بر چگونگی مشارکت خواننده در شکل‌گیری معنا تمرکز دارد. پژوهش پیش‌رو تعامل سازوکارهای کلیدی دریافت –افق انتظار، فاصلهٔ زیبایی‌شناختی و خلأهای متنی– را با ساختار روایی رمان بر می‌رَسد و می‌کاود که چگونه افق انتظار خواننده از طریق عنوان، جایزه و موضوعیت اثر شکل می‌گیرد و چطور راهبردهای روایی مانند دوگانگی صدای عیسی همچون روایِ کودک و راوی بزرگسال، فاصله‌ای زیبایی‌شناختی پدید می‌آورد که تأمل انتقادی را برمی‌انگیزد. همچنین خلأهای عامدانه در متن، مانند ابهام در احساسات شخصیت‌ها و سرنوشت نهایی قهرمان، تحلیل می‌شود؛ خلأهایی که خواننده را به مشارکتی فعال در تکمیل معنا وامی‌دارد. نتیجه آن که رمان با موفقیت خواننده را از دریافت‌کننده‌ای منفعل به شریکی فعال در فرآیند خوانش و تفسیر متن تبدیل می‌کند و تفاسیر چندگانه‌ای می‌آفریند که غنای متن و پیچیدگی مسئله هویت را بازمی‌تاباند.

واژگان کلیدی: نظریه دریافت، افق انتظار، فاصله زیبایی‌شناختی، خلأهای متنی، ساق البامبو.

---

١. دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی، دانشکده علوم انسانی، دانشگاه کوثر بجنورد، بجنورد، ایران، ایمیل: sst١٣٦٣@yahoo.com (نویسنده مسئول)